الزيارة

محمد نور

الزيارة (قصة قصيرة)

الخازندار للنشر الالكتروني

****

العنوان :جوار مدرسة اللواء رفعت عاشور الثانوية- ميت سلسيل- الدقهلية

هاتف : ٠١٠٠٠٠٩٩٣٩٠

العنوان: الزيارة

الكاتب:محمد نور

اخراج فني: الخازندار للنشر الالكتروني

جميع حقوق النشر الالكتروني محفوظة للكاتب/ة تحت اشراف موقع الخازندار للنشر الالكتروني، و غير مسموح بنقله أو مشاركته أو نشره الكترونيا دون اذن مكتوب من الكاتب

الزيارة

قصة قصيرة

محمد نور

هب سكان ميدان الحي الشعبي العريق فزعين من نومهم علي صوت جلبة عظيمة، قبل أن يحيك الخيط الأبيض خيطه بالسماء حالكة السواد، فتحت شبابيك الشقق والمنازل المطلة علي الشارع لاستطلاع الأمر، لكن هالهم مشهد رتل من السيارات المجنزرة يغزو الميدان، خلفها يسير في خطوة موحدة جيش عرمرم، موحد الزي والخطوة، مدجج بالعدة والعتاد من أدوات النظافة، يقودهم مهندس الحي المسؤول، الذي لا يراه أحد إلا عند دفع المعلوم أو المخالفات، وكنابليون في عز مجده وقف يشير بأصبعه لجيشة الصغير في صرامه دون أن يتفوه بحرف واحد، علي أثر أشاره من أصبعه زأرت السيارات، وتحركت في خفه الفهود تلتهم القاذورات، والأتربة المتراكمة، تحيل الأسفلت إلي مرايا لامعة مصقولة ترى فيه انعكاس وجهك، بينما تتبعها سيارات أخرى تغسل الأرصفة بالماء والصابون المعطر برائحه الورود.

أخري اقتربت من المباني إلى حد الالتصاق، لتنبت منها سلالم تنافس في ارتفاعها ارتفاع برج القاهرة، مزودة بمدافع مائية أكبر قوة من المدافع التي أسقطت الساتر الترابي، لتزيل من على الواجهات أثار الشيخوخة، وتحيلها إلى عروس في ليلة الزفاف.

علي الجانب الأخر من الميدان أنتشر ضباط، وأفراد المرور، والمرافق، ولأول مرة منذ فتره طويلة، ربما منذ أن نشأ الميدان، تسجل أوراق دفاتر التاريخ تحقيق سيوله مرورية، واختفاء مواقف الميكروباص العشوائية، بل وظهور مساحات واسعة يسير عليها المشاة، تسمي بالأرصفة، مع إشارة عقارب الساعة إلى الساعة السادسة صباحا، تحولت أرض الميدان لأرض الحشر مع نزول الطلبة والموظفين، إلا أن أتوبيسات النقل العام أفرغت الميدان من

البشر قبل أن تحين الساعة السابعة، والأعجب دون أن يخرج الركاب من أمعائها.

بدأت سيارات الأمن المركزي تصل إلى الميدان، وفي هدوء ونظام، اصطف الجنود مولين ظهورهم للشارع، قيل إن الأمر زيارة مسئول كبير لأحد المزارات السياحية المهملة بالمنطقة.

شمس أغسطس الحارقة، لا ترحم ولا تذر، ترسل حممها على الرؤوس لتحرقها، وعلى الأسفلت المصقول فتحوله إلى كتل من الحمم الملتهبة، الجنود جفت حلوقهم كبني هاشم بشعاب مكة، يحلمون بنقطه مياه بارده تروي ظمأهم، أو أن يفك الله أسرهم، من تلك التشريفة اللعينة، وأن يظهر موكب المسئول سريعا، لكن استمرت عقارب الساعة في الدوران دون أن يظهر سعادته.

الساعة الثانية ظهرا، وقت الذروة اللعين مر، دون أن يسمع أحد نفيرا لسائق متذمر، أو صرير فرملة متبوع بسباب، أو السيرك المتبادل بين المشاة وقائدي السيارات.

علي الرغم من الإرهاق الذي بدء يستولي علي الضابط حديث الخدمة المكلف من قبل القسم بمتابعة الميدان، إلا أنه كان منتشي بما يراه، كل شيء بدا مثاليا في عينه، تطبيق القانون كما يقول الكتاب، دون اللجوء لعنف، أو لدفاتر المخالفات، وسحب التراخيص، والأهم دون خدش كرامة إنسان.

حتى سقطت عيناه على شخص مريب في حركته، يتلفت حوله كأنه يكتشف الميدان للمرة الأولى بحياته، ليشعر الضابط بالقلق، تلك الحركات لا تخطئها عين مدربة، مما دفعه للصراخ بوجه أحد الجنود

المرافقين له في صرامة:

- اجلبوا لي هذا المعتوه.

اقتاد الجندي المواطن الذي يبدو أنه لم يشعر بالقبضة الغليظة القابضة على قفاه، فبادر سائلا الضابط منزعجا قبل أن يتفوه الأخير بحرف:

-أين الباعة الجائلين دائما ما كانوا هنا؟!

تفجرت الدهشة في أعماق الضابط، وشعر بالحيرة فتساءل متعجبا:

- ألا ترى نظافة الميدان، وخلوه من المخالفات، ألا يرضيك كل هذا؟

بدا أن الرجل لم يسمع حرفا منه، مخرجا بضعه جنيهات من جيب قميصه، موجها حديثه لشخص غير موجود، قائلا في تحسر:

- كنت أتمنى أن أشتري لك يا عزيزتي الفاكهة التي طلبيتها مني، لكن يبدوا أنه غير مكتوب لنا أن نراها حتى بعد قبض العلاوة، قالها وقد اغرورقت عيناه بالدموع، يكاد ينصرف من أمام الضابط كأنه لم يراه، علامات البؤس وربما الضياع المرتسمة على محياه، أثارت تعاطف الضابط فغابت الخشونة المصطنعة من صوته متسائلا في خفوت:

-من تلك التي تخاطبها؟

أعاد سؤاله الابتسامة لوجه المواطن، وكأنه بتذكر من يتحدث عنها بعثت فيه الحياة:

-ابنتي يا باشا.

قالها مقرنا حديثه بإخراج صورة طفلة ذات ابتسامة مشرقة، وأعين تطل منها البراءة، أخرج الصورة كأنه يتحدث مع صديق حميم، نظر له الضابط نظرة طويلة كأنه يحاول أن يسبر أغواره، فمن يدري قد يكون كل هذا مجرد تمثيل من محترف، لم يدر كيف يتصرف شاعرا بالحيرة إلى أن هداه الله بسؤال المواطن عن بطاقته، فأخرجها ببساطة له، هنا اتسعت أعين الضابط في ارتياع قائلا في لهجة غلب عليها مزيج من الاحترام والدهشة:

-حضرتك معلم وناظرا لمدرسة حكومية!

هز الرجل رأسه بالموافقة، وأن عجزت هذه المرة عيناه عن حبس دموعه فسالت دون أن يدري على خده، فقال الضابط في أسف وندم، معيدا له البطاقة:

-أنا أسف جدا.

تناول الرجل بطاقته مشيحا بوجهه قائلا في طيبة:

-ولا يهمك أنت كأبنا لي، الله يكون في عونك.

لم يحر الضابط جوابا فوقف متسمرا صامتا في مكانه يراقب الرجل، الذي ابتعد منصرفا، قبل أن يتحرر صوته صارخا:

_ انتظر..

ألتفت له الرجل مندهشا، لكن الضابط رسم على شفتيه ابتسامة واسعة، القت الراحة بقلب الناظر، أشار الضابط إلى أحد الجنود،

وهمس في أذنه ببضع كلمات، قبل أن يقول للمواطن:

-أتبع هذا الجندي سيقودك إلى بائعي الفاكهة المتجولين.

قالها مراقبا انصراف الناظر والجندي شاعرا بالراحة، ورأى بعين الخيال الجندي مصطحبا للرجل إلى أفضل فكهاني بالمنطقة، سيأتيه بالفاكهة التي ترغب ابنته فيها على حساب الضابط، مخبرا الرجل بأن هذا ابسط اعتذار له، وقعت عيناه على الميدان النظيف اللامع في تلك اللحظة، وقد أدرك من لحظتها أن كل ما كان يفكر فيه من لحظات ليس مهما، أن تلك النظافة المزعومة التي يراها البعض تفضلا على المواطن لا تهم، بل أن ما يهم في الحقيقة، ضحكة طفلة تستقبل أبيها المنتصر بفرحة حقيقية ، بشعور هذا المسكين انه لم يضيع عمره في خدمة وطن لا يهتم به، سرح بنظره للحظات إلى السماء، قبل أن تعوى أبواق الموكب القادم، فيشد قامته مؤديا التحية العسكرية للسيارة المارة من أمامه، وقد أنتبه أنه كاد ينسى تماما سبب وقفته كل هذا الوقت بالميدان ..